عوامل وأسباب تأخر سن الزواج في المجتمع الجزائري

الأستاذة : فريدة بولكعيبات

تمـــهـــيد:

يعتبر الزواج من أهم النظم الاجتماعية التي تعمل على حفظ توازن وتماسك واستقرار المجتمع، فمن خلاله تنظم العلاقات الجنسية ويشعر كلا الجنسيين بالسكن الروحي والطمأنينة، وتقوى الروابط الاجتماعية، ويتجنب الفرد والمجتمع الكثير من الآفات الاجتماعية التي من شأنها أن تهدم وتفتك بنية المجتمع.

وبالرغم من أهمية الزواج للفرد والمجتمع على حد سواء، إلا أن التحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية أدت إلى إحداث تغيرات هامة في نظام الزواج من حيث (السن- أسلوب الاختيار-المراسيم-السكن.....الخ) الأمر الذي أدى إلى انتشار ظاهرة تأخر سن الزواج بين الشباب، فهذه الظاهرة من الظواهر الاجتماعية التي تهدد الكثير من المجتمعات العربية على وجه الخصوص، وإن اختلفت في حد ذاتها تبعا للظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وحتى الأمنية هذا فضلا عن العادات والتقاليد الخاصة بكل بلد.

واستفحال الظاهرة أدى بالمختصين إلى دق ناقوس الخطر وذلك نظرا للنتائج السلبية والوخيمة المترتبة عنها على مستوى الشباب بصفة خاصة، وعلى مستوى المجتمع بصفة عامة محاولين بذلك البحث عن الأسباب التي أدت إلى انتشارها، وإيجاد الحلول للتقليل منها أو القضاء عليها نهائيا، وخاصة أن المجتمعات العربية بدأت تشهد بالموازاة مع بروزها انتشار انحرافات جنسية كثيرة كالزنا والاغتصاب...الخ، وكغيرها من البلدان العربية، تشهد الجزائر انتشارا مريعا لهذه

المشكلة، فبعدما كان المجتمع الجزائري يعرف بزيجاته المبكرة وارتفاع نسبة المتزوجين وتراجع نسبة العزاب والعوانس، عرف في السنوات الأخيرة تأخرا ملحوظا في متوسط العمر عند الزواج الأول لدى كلا الجنسين وارتفاع نسبة التعزب بين الرجال وانتشار العنوسة بين النساء حيث أصبح ثلث تعداد الجزائريين تقريبا عوانس وعزاب.

وتشير إحصائيات الديوان الوطني للإحصاء، إلى أنه بالرغم من ارتفاع المعدل الخام للزواج إلى (8.50%) سنة 2005، إلا أن هذه الزيادة تبقى ضعيفة مقارنة بنسبة العزاب والمتصفح للتعدادات التي أجريت في الجزائر يلاحظ بوضوح ارتفاع نسبة العزوبة لدى كلا الجنسين، كما يلاحظ أن نسبة النساء غير المتزوجات، عرفت ارتفاعا ملحوظا في الفئات العمرية (25- 29 سنة) من (34.8%) سنة 1992 إلى (57.5%) سنة (2002) أما بالنسبة للفئة العمرية (30-34سنة) فقد ارتفعت النسبة من (13.2%) سنة 1992 إلى (33.7%) سنة 2002[1].

العـــوامل والأسبـــــاب:

أما عن الأسباب التي أدت إلى تفشي ظاهرة تأخر سن الزواج في المجتمع الجزائري، فهي كثيرة ومتنوعة توفرت في المجتمع بنسب متفاوتة، ولعل التحولات الاجتماعية والثقافية كاهتمام المرآة بالتعلم ورغبتها في الاستقلال المادي والمعنوي من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار هذه الظاهرة كما ساهمت الظروف المعيشية التي يعيشها الشاب (البطالة-أزمة السكن...) في تأخر سن زواجه، الأمر الذي نجم عنه ارتفاعا في عدد الشباب الجزائري الذي تأخر سن زواجه.

وعلى العموم يمكن أن نلخص أهم العوامل التي كان لها دخل في تأخر سن الزواج في المجتمع الجزائري على سبيل المثال لا الحصر وهي كما يلي:

1- الأسبـــاب الاجتمـــاعية: وتتمثل فيما يلي:

1- ضمور معاني الأسرة في النفوس، مع غياب المفهوم الصحيح للزواج كسكن ومودة ورحمة، قبل أن يكون شكليات ومظاهر، ولعل أن هذا سببه راجع إلى غياب

[1] ص، بورويلة: 51 بالمائة من النساء عوانس، جريدة الخبر، الجزائر، السبت 23 جوان 2007، ص15.

دور الأسرة في توعية أبنائها وتربيتهم على تحمل المسؤولية وتفهم معنى الزواج وإعداد أبنائها وبناتها للقيام بهذا الدور، إذن فالأسرة لها دور مهم في عملية التنشئة الاجتماعية[1].

2- الاستسلام والانسياق وراء ما تبثه وسائل الإعلام من مفاهيم مغلوطة عن الأسرة والزواج ومتطلباته، مما أدى ببعض الشباب إلى الانصراف عن الزواج.

ولعل أن الفضائيات التي يديرها أو يمتلكها فسقة المسلمين، يضاف إليها بعض المصادر المظللة سواء كانت كتبا أو مجلات رخيصة لا تستهدف سوى الإثارة والربح الرخيص[2]، لها دور أساسي في ذلك.

3- ابتعاد الناس عن الدين وضعف القيم الإسلامية في النفوس، مما نتج عنه انتشار بدائل غير شرعية للتنفيس عن الشباب، فكم من خليلة منعت الشبان عن حليلة، كما أن رواج سوق الفاسقات منع وزاج العفيفات الطاهرات.

4- ترسخ بعض العادات والرسوم الاجتماعية التقليدية التي تنتشر غالبا في القرى والبادية، ومنها حجز البنت لابن عمها، وحرمان الصغيرة نصيبها بحجة وجود أختها الأكبر، وإن كنا نلاحظ تناقصا في انتشار هذه العادات والتقاليد في المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة، إلا أنها ما زالت موجودة .

5- رفض التعدد في الزوجات من قبل الفتيات، والإحجام عنه من قبل الرجال، والنظرة إليه على أنه شيء من التنقص .

6- الأحلام الوردية الخيالية التي ترسمها بعض البنات لشريك المستقبل، ومثله الصفات التعجيزية التي يطلبها الشاب في رفيقة حياته، وكل هذه الأشياء هي نتيجة لغياب أثر القيم في أسر كثيرة من ناحية إصلاح الأبناء والعائلة وتقويتهم إن حادوا عن الطريق.

---

[1] عبد اللطيف معاليقي: أضواء على مشكلات الشباب العربي، الفكر العربي، ع147، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1987، ص 119.

[2] مكي عباس: حول الاضطرابات النفسانية والانحرافات الأخلاقية عند الشباب العربي المسلم، الفكر العربي، ع47، معهد الإنماء العربي، بيروت ، 1987، ص 85.

7- انعدام الثقة بمعنى أنه حين ابتعد الناس عن بعضهم وزادت غربتهم خاصة في المدن الكبرى والمزدوجة وشيوع العلاقات العاطفية والجنسية خارج إطار الزواج أدى إلى انعدام الثقة لدى كثير من الشباب والفتيات في الحصول على شريك حياة مناسب، خاصة لدى هؤلاء الذين تورطوا في مثل تلك العلاقات، وأصبح لديهم قناعة بأنه لا توجد فتاة عفيفة ولا يوجد رجل مستقيم.

2- الأسبـــاب الاقتـــصادية:

تقف أسباب اقتصادية كثيرة وراء تفاقم هذه الآفة ولعل أهما ما يلي:

1- الارتفاع الفعلي في المهور وتكاليف الزواج، خاصة مع ازدياد معدلات البطالة، وعدم وجود فرص عمل حقيقية أمام الشاب، ولما كانت فرص العمل قليلة ومحدودة فإنه يبقى الشاب عائشا على دخل مالي محدود جدا، وهذه الوضعية المزرية لا تسمح له بتوفير تكاليف الزواج مما ينجم عنه عزوف الشاب عن ذلك[1].

2- الفقر والحرمان فحسب تقرير الديوان الوطني للإحصاء فإن ثلث العائلات الجزائرية فقيرة، 45% من الأجراء يعيشون تحت الحد الأدنى للفقر، حيث أن 1.6 مليون مواطن نزحوا من الأرياف إلى المدن بسبب الأزمة الاقتصادية وتردي الأوضاع الأمنية[2]. مما نتج عنه صرف الكثير من الشباب نظرتهم عن الزواج.

3- أزمة السكن التي عدت من الصعوبات الراهنة التي نتحكم في انخفاض نسبة الزواج عن الشاب[3] ، حيث تعيش المدن الكبرى أزمة سكن حادة، خاصة الجزائر العاصمة التي يتمركز بها حوالي 5 ملايين جزائري، وما تلاه من نزوح ريفي واسع إليها وإلى المدن الكبرى بحثا عن سبل العيش الكريم واستجابة لإغراء نداءات المدينة الحديثة.

إذن فالفئات الأكثر تضررا من أزمة السكن هي فئة الشباب الذين هم في سن الزواج وتحول ظروفهم المادية الضئيلة وارتفاع أسعار المساكن دون تمكنهم من

[1] معن خليل عمر:علم المشكلات الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1،2005،عمان الأردن، ص 199.

[2] اسماعيل قيرة: أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 13.

[3] سناء الخولي: الأسرة العائلية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية ، 1991، ص141.

الحصول على مسكن[1]، مع شيوع ظاهرة رفض الزوجة العيش في المسكن الأبوي تحت رئاسة الأب الأكبر الذي هو في نفس الوقت رئيس العائلة[2] .

لهذا أصبحت الزوجات يشترطن سكن خاص بهن يكون مستقلا عن الأسرة الكبيرة الأب والأم والإخوة...

ونظرا لأن الشكل المفضل للسكن في العصر الحديث هو المسكن الخاص المستقل، فأصبح العبء كله يقع على الشاب من اجل إيجاد مسكن، ومن خلال الارتفاع المذهل في أسعار المساكن أصبحت المسألة معقدة إلى حد كبير مما أدى إلى اختلال معايير الاختيار الزواجي فبدأت في الظهور أساليب جديدة للاختيار مثل:

- البحث عن عروس لديها مسكن.
- الزواج من سيدات متقدمات في السن لامتلاكهن مساكن[3].

3- الأسبـــاب السيـــاسية: من أهم الظروف السياسية التي ساهمت في تأخر سن الزواج في المجتمع الجزائري ما يلي:

1- حيث أن الحكومات في بلادنا لم تأخذ الأمر بجدية ولم تشعر بحجم المشكلة أو تأثيرها السلبي على المجتمع، وربما توارت المشكلة خلف ركام من المشاكل السياسية الأخرى، وهذا ما أدى إلى غياب دور أساسي كانت الدولة منوطة به، ويشمل توفير فرص عمل حقيقة للشباب، وتيسير المشروعات الصغيرة، وتشجيع الشباب المقبل على الزواج المبكر بشقة بأسعار مناسبة ومشاريع توفر لهم احتياجاتهم في حدود طاقاتهم.

وهذا ما أدى بالكثير من الشباب الجزائري البطال أو محدود الدخل بالهجرة الشرعية في (قوارب الموت) إلى اسبانيا وايطاليا ودول أخرى بحثا عن فرص حياة أفضل، ويقترن ببعض الأوربيات لتسوية وثائقهم مما يعني آليا تضييع فرصة زواج على ابنة بلده.

---

[1] المرجع نفسه ، ص121.
[2] غيث محمد عاطف: علم الاجتماع، دار المعارف، ص 10-12.
[3] سناء الخولي: أزمة السكن ومشاكل الشباب، ص140.

2- إن ما وصل إليه حالنا كدول عربية وإسلامية من غياب للقيمة والهدف من حياتنا وحالة الإحباط العامة التي تسود بلادنا جميعا، والخوف دائما مما سيحدث غدا، لا بد أن يكون سببا مباشر في عزوف الشباب عن الزواج وعدم تحمسهم لبدء حياة جديدة كلها أمل وتفاؤل .

الأسبـــاب التـــــربوية:

حيث أن الدراسة بالمدارس تجعل الفتى والفتاة حتى دخول الجامعة ليس لهم همّ إلا النجاح والحصول على أعلى الدرجات، لأن هذا الأمر يعتبره الآباء نوعا من الإنجاز ومدعاة لمفخرتهم ورمزا لنجاحهم[1]، ثم فجأة يجدون أنفسهم في مواجهة الحياة، وقد خلت كل المناهج الدراسية مما يساعد الفتاة على أن تكون زوجة وأما وربة أسرة لم يحدثها احد عن معنى الزواج وتبعاته، وكذلك الفتى لم يتعلم معنى المسؤولية ومعنى أن يكون رب أسرة ومعنى الرجولة، حتى معنى السعي وكسب الرزق الحلال غاب عن شبابنا.

3- أسبـــاب ثـــقافية وفـــــكرية:

حيث إن من يساهم في بناء وصياغة فكر وعقل، إما تجاهل المشكلة تماما، أو على العكس كان سببا في تفاقمها، سواء كانت وسائل الإعلام خاصة التلفزيون والصحف والمجلات أو الكتّاب والمفكرين أو كما ذكرنا طريقة التربية في المدارس وفي داخل الأسرة نفسها، ولكن المؤسف أكثر في الأمر أن يتجاهل علماء الدين والفقهاء المشكلة، فكيف تخلو الخطب والدروس الدينية من تناول للظاهرة و أسبابها وطرق العلاج، بالرغم من أننا كشعب عربي إسلامي عندما تتضح أمامنا الأبعاد الدينية للمشكلة تختلف طريقة تعاملنا معها؟

الواقع أن غياب البعد الديني ساهم كثيرا في تفاقم المشكلة، وأعني هنا النظرة الدينية الواعية التي تهتم بدراسة الأرقام والإحصائيات وكل ما يعتري المجتمع الآن

[1] المرجع السابق،ص 135.

من تغيرات واتجاهات، وليست مجرد مجموعة من الفتاوى المتفرقة الجامدة التي لا تتفاعل مع المجتمع.

أسبـــــاب نـــــفسية:

1- وهذه جاءت نتيجة لتفاعل كل الأسباب السابقة، في سابق العهد كان الشاب والفتاة يحلمان بأن يبدءا حياتهما بأبسط الإمكانات ليكبرا مع الأيام، أما اليوم فهذا الجيل منهزم من داخله لم يحاول أن يتحدى العقبات ويهزمها، ولكنه هرب من المواجهة فالخوف من المستقبل وعدم تحمل المسؤولية والتمسك بل التقييد بكل أسباب الرفاهية والكماليات...كل هذا هزم روح التحدي داخلنا، وكأن كل ما مر بنا من يأس وانهزام على كافة الأصعدة قد انتقل إلى داخلنا.

2- طبيعة شخصية بعض الفتيات، حيث توجد بعض الشخصيات التي تفضل حياة العنوسة بوعي أو بغير وعي على الرغم مما تتمتع به من الجمال والجاذبية وعلى الرغم من توافر فرص الزواج أكثر من مرة، فالفتاة في هذه الحالة ترفض لأسباب ظاهرية كل من يتقدمون لخطبتها وتدعي أنه لم يأت النصيب بعد أو لم يأت العريس المناسب، وفي الحقيقة هي لديها أسبابها النفسية التي ربما تعلمها أو لا تعلمها وهذه الأسباب تكون هي الدافع الرئيسي لرفض الزواج أو تأجيله، وهذه الشخصيات إذا تم زواجها بضغط من الأسرة أو من المجتمع فإنها سرعان ما تسعى نحو الانفصال والعودة إلى حياة الوحدة مرة أخرى متعللة بأي مشكلات ظاهرية.

3- وهناك سبب آخر رئيسي للمعضلة لا يمت بصلة إلى السكن والعمل والدخل...ويتعلق بسوء سمعة المتخرجات من الجامعة والأحكام المسبقة الشائعة لدى الجزائريين في هذا الجانب، وغالبا ما تكون هؤلاء المتخرجات ريفيات، وبرغم عدم وجود نسبة عزوبية كبيرة بها مقارنة بالمدن كما أسلفنا،إلا أن الريفيين يعزفون عن الزواج بهن في الغالب على خلفية تدهور سمعة الجامعيات في السنوات الأخيرة بسبب السلوكيات (المنحرفة) التي تقترفها بعضهن في الأحياء الجامعية بالمدن بعيدا عن رقابة الأهل.

ومع أن المسألة تتعلق ببعض الجامعيات فقط إلا أن كثرة حديث الصحافة الجزائرية عن هذه الانحرافات الأخلاقية جعل الرجال يقعون في فخ التعميم الخاطئ ويصدرون أحكاما قاسية ضد الجامعيات ويتجنبون الاقتران بهن تفاديا لنظرات الاحتقار من المجتمع، واشتكت الجامعيات كثيرا من هذه الظاهرة على صفحات الصحف المحلية، إلا أن استمرار مظاهر الفساد الأخلاقي في مختلف الأحياء الجامعية بالمدن الجزائرية أبقى نفس الأحكام المسبقة التعميمية ضدهن.

مما سبق يمكن أن نقر أن ظاهرة تأخر سن الزواج من أهم الظواهر التي تهدد استقرار وكيان المجتمع الجزائري، وذلك لأن الآثار المترتبة عنها لا تمس الشباب فحسب، بل المجتمع ككل ولعل أهم تلك الآثار هو الانتشار اللامحدود لمختلف أنواع الانحرافات وفي مقدمتها العلاقات الجنسية غير الشرعية .

وشهد المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة استفحالا لهذه الظاهرة وهذا راجع إلى التحولات التي عرفها وما زال يعرفها ، وقد تبين لنا أن للظروف المعيشية التي يعيشها الشاب الجزائري دخل في انتشار الظاهرة فبطالته، وصعوبة الحصول على السكن، وارتفاع تكاليف الزواج في ظل غلاء المعيشة شكلت أهم العوامل السوسيو اقتصادية التي تقف أما إقبال الشاب على الزواج وخاصة أن أسلوب الحياة قد تغير كثيرا مقارنة بالسنوات السابقة، بحيث أصبح مقتضياته ومسلتزماته وعدم توفرها قد تنعكس بالسلب على حياة الشاب.

وتحقيق ذلك يتطلب الشاب سنوات عديدة بدأ بالتخرج من الجامعة ثم أداء الخدمة الوطنية ثم البحث عن عمل مستقر يضمن له أجرا مناسبا لتحقيق أهدافه وطموحاته ووصولا إلى البحث عن السكن المستقل(شراءه، أو كرائه، أو بنائه) ليصل بذلك إلى الثلاثينات من عمره بدون زواج، وعند ما تهيأ ماديا فإنه في أغلب الأحيان لا يتجه إلى اختيار لشريكة حياته نحو من تماثله في السن بل الأصغر منه لتقل بذلك حظوظ مماثلاته في السن مما يتسبب في عنوسة البعض منهن.

كما شهدت المرآة تغيرات من حيث المكانة والدور، بحيث أصبحت تسعى إلى إثبات ذاتها في المجتمع من خلال التعليم والعمل أولا ثم الزواج وارتفاع

مستواها التعليمي واستقلالها المادي غير من نظرتها نحو بعض السلوكات الاجتماعية وفي مقدمتها الزواج، وهذا ما أدى إلى تأخر سن زواجها، وتسبب الطموح العلمي المتزايد لها في عنوستها، وإقبال المرآة على التعليم والعمل لقي تشجيعا من طرف الأسرة وخاصة الأم التي أصبحت ترى بضرورة مواصلة البنت تعليمها الجامعي لتتحصل بذلك على السلاح الذي يحميها من تقلبات الحياة.

وقد انعكس الطموح المتزايد والاستقلال المادي بسلب على بعض النساء بحيث تسبب في عنوستهن، وقد تتسيب العنوسة في ظل التغير الاجتماعي وغياب الوازع الديني في انحراف بعض النساء واتجاههم في سبل الظفر بالزوج إلى طرق تتنافى مع قيم ومبادئ المجتمع، كما ساهم التفتح على الثقافات الأجنبية والدخيلة عن مجتمعنا وقيمنا إلى تشبع بعض الأفراد بمفاهيم لا تشجع على الزواج، بل تدعوا في مجملها إلى الحرية والفردانية، وتحقق الذات بعيدا عن مؤسسة الزواج، أما إشباع الغريزة الجنسية فقد وفر المجتمع العديد من القنوات غير الشرعية لتحقيق ذلك وقد لعبت وسائل الإعلام والاتصال باختلافها دورا لا يستهان به في ذلك، وخاصة أمام رغبة بعض الشباب في الزواج وغياب الوسائل المشروعة لتحقيق ذلك .

من خلال ما سبق، يمكننا قول أن ظاهرة تأخر سن الزواج في المجتمع الجزائري، هي وليدة تفاعل العديد من العوامل الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، والنفسية، وحتى السياسية والأمنية، فعدم استقرار المجتمع وغياب الأمن يصرف الشاب عن الزواج وتتفاوت هذه العوامل من حيث قوة تأثيرها في انتشار الظاهرة.

المصـــــادر والـــمـــــــراجع:

1- إسماعيل قيرة: أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

2- سناء الخولي: الأسرة العائلية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية ، 1991.

3- ص، بورويلة: 51 بالمائة من النساء عوانس، جريدة الخبر، الجزائر، السبت 23 جوان 2007.

4- عبد اللطيف معاليقي: أضواء على مشكلات الشباب العربي، الفكر العربي، ع147، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1987.

5- معن خليل عمر:علم المشكلات الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1،2005،عمان الأردن.

6- مكي عباس: حول الاضطرابات النفسانية والانحرافات الأخلاقية عند الشباب العربي المسلم، الفكر العربي، ع47، معهد الإنماء العربي، بيروت ، 1987.